الإعلام المعاصر ودوره في مواجهة الشبهات المثارة حول الإسلام

إعداد

د .نزار عامر حسين

كلية العلوم الإسلامية _ الرمادي

Isl..dr.nazar.hussain.79@uoanbar.edu.iq

Issn: 2071-6028

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد:

تعد وسائل الإعلام في عصرنا الحاضر جزءً من متطلبات الحياة العصرية ، وهي في الوقت نفسه لها الدور الأكبر والأثر الأعظم في حياة الناس جميعاً فضلاً عن المسلمين ، إذ أصبح الكثير منها يخاطب المسلمين بشكل مباشر لاسيما أننا نعلم أن وسائل الإعلام الكبرى في العالم تسيطر عليها الدول العظمى ، وهي تنفث سموم الحقد والكراهية على الإسلام وأهله ، فتارة يظهر لنا من يهدد بحرق المصحف الشريف فضلاً عن الإساءات المتكررة على شخص النبي _صلى الله عليه وسلم وغير ذلك الكثير .

ومازالت مسالة الشبهات التي أثيرت من قبل ضد الإسلام مسألة مطروحة على الساحة العالمية الإعلامية ، على الرغم من تغيير الطريقة في طرح تلك الشبهات إلا أن المسألة تعد إمتداد لما أثاره الغربيون والشرقيون على حدٍ سواء .

ونرى بالمقابل جهوداً تبذل من قبل الدعاة المخلصين والذين نذروا أرواحهم لخدمة هذا الدين ولإعلاء كلمة الحق ، وتتمثل هذه الجهود في صد اي هجمة فكرية تثار ضد الإسلام .

ونحن في هذا البحث سنتناول مسألتين رئيستين ، الأولى هي مفهوم الإعلام وأهميته وكيفية إخضاعه لما يعرف بالعولمة ومن ثم دوره في مواجهة الغزو الفكري بكل أشكاله ، والتي تعد مسألة الشبهات وسيلةً أساسية من وسائل الغزو الفكري.

أما الجزء الثاني من هذا البحث فهو يدور حول نماذج لبعض الشبهات التي أثارها الغربيون والملحدون حول الإسلام وأنظمته ، بل وحتى حول تاريخ الفكر الإسلامي وجوهره ، وكان من أبرز تلك الشبهات أيضاً هي قضية المثالية في الإسلام وعلاقة الإسلام بالعلم وقضية أخرى هي قضية المدنية .

وقد حاولنا في هذا البحث الوقوف على الدور الذي يؤديه الإعلام في مواجهة تلك الشبهات وفي مواجهة الغزو الفكري عموماً

والله نسأل أن يعلمنا ماينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

Issn: 2071-6028

المبحث الأول

مفهوم الإعلام

المطلب الأول : تعريف الإعلام وأهميته

الإعلام : " هو نشر الأخبار والآراء على الجماهير"[١] ، أو هو تزويد الناس بالأخبار الصادقة والمعلومات الصحيحة والحقائق الثابتة التي تساعد الناس على تكوين رأي صائب في واقعة معينة[٢] .

لقد تحول الإعلام في الزمن المعاصر من هوايةٍ إلى حرفة ، بل صناعة متكاملة لها روادها وشركاتها ومستثمروها ، وقد لا نغالي إذا قلنا بأننا نعيش اليوم في مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة التي ألغت الحدود وأزالت السدود ، ولم يقتصر ذلك على اختراق الحدود السياسية والسدود الأمنية ، وانما بدأ يتجاوز ذلك إلى إلغاء الحدود الثقافية ، ويتدخل في الخصائص النفسية وتشكيل القناعات العقدية، فيعيد بناؤها على وفق الخطة المرسومة لصاحب الخطاب الأكثر تأثيراً والبيان الأكثر سحراً والتحكم الأكثر تقنية[٣] .

إن سلاح الغزو الفكري هو الفكرة ، والكلمة ، والرأي ، والحيلة ، والنظريات ، والشبهات ، وخلابة المنطق ، وبراعة العرض ، وشدة الجدل ، ولدادة الخصومة ، وتحريف الكلم عن مواضعه ، الذي يكون أقوى من مقام السيف أو الصاروخ في أيدي الجنود ، والفارق بينهما هو الفارق نفسه بين وسائل الغزو الفكري قديماً وحديثاً وأساليبه[٤] .

وبما أن كافة وسائل الإعلام قائمة على الكلمة سواء كانت مسموعة ، أممقروءة ، أم مرئية فهي تعد من الأساليب الحديثة والمهمة لنشر الغزو الفكري ، ولقد أصبحت وسائل الإعلام ملازمة لحياة الإنسان اليومية في بيته وعمله وطريقه وفي كل مكان .

وعلى الرغم من كل محاولات الغزو الفكري المستمرة وبشدة ضد الإسلام خصوصاً ، إلاّ أن الإسلام بما أوتي من حق وبصيرة ووضوح ، يملأ الكون دائماً بهديه القويم ، وتشير الدراسات إلى أنه الإسلام اليوم أكثر الأديان انتشاراً مع الضعف الذي ينتاب جوانب من الأمة الإسلامية ، ومع الحملات المسمومة التي ما فتئت تفتري على الإسلام على صفحات الإعلام وشاشات

---

(١)العلاقات العامة والمجتمع .إبراهيم إمام (٣١٦) ، مكتبة الأنجلو ، ط١ ، القاهرة (ب . ت).

(٢)ينظر: ضوابط الإعلام في الشريعة الإسلامية . عبد الهادي الزيدي (٤) ، الرياض ، (١٩٩٧ م) .

(٣)ينظر: مراجعات في الفكر والدعوة والحركة . عمر عبيد حسنة (١٣) ، مكتبة الأمة ، (١٩٩٢ م) .

(٤)ينظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام . عبد الستار فتح الله (٢١) .

Issn: 2071-6028

القنوات وغيرها من وسائل الاتصال ليتحقق بعد ذلك كله وعد الله الحق إذ قال عنه تبارك وتعالى :﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[١] .

ولا ننسى أن الإعلام ووسائله المختلفة لم يعد لها منهجاً إسلامياً ، وإنما يعيش عالة على ترجمة ما فعله غيرهم لبيئة تختلف عن بيئتهم ومناخ اجتماعي ليس من طبعهم ، وعاداتهم وتقاليدهم لا يعرفون عنه أي شيء ، وهو ما دفع شباب الأمة إلى تقليد الممثلين الأجانب في كل شيء حتى في الحركة والمشي والأكل والجلوس إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة ، وأوكد أن السبب في ذلك هو الأمية الدينية [٢].

إن إعلامنا الإسلامي صورة لما نقول ونؤمن ، وصدى لما ننشد من خير للحياة والأحياء ونحن مسلمون والإسلام دين الدولة إيماناً ونظاماً ، فليرانا العالم أجمع من خلال إذاعتنا وصحافتنا ومن خلال كتبنا ورسائلنا ومن خلال اجتماعاتنا ومؤتمراتنا على هذا الواقع الدائم .

لكن كيف يؤدي الإعلام الإسلامي هذه الوظيفة الكبيرة ؟ إن أجهزة الإعلام في العالم كله تنطلق من مبادئ معينة وتخدم مصالح معينة ، والإعلام الإسلامي يرتبط بمبادئ ومصالح معروفة المصدر والنسبة ، فلا وجه للغرابة إذا كانت تعاليم الدين لحمته وسداه ، وإذا كان شأن غيره من الاجهزة أن يفسر وقائع الحياة على وفق فكرته هو وينظر اليها من زاويته هو [٣] .

لا شك أن المهمة في صد المد الفكري الإعلامي مهمة صعبة وتحتاج إلى تظافرالجهود بشكل كبير ، حتى نستطيع تكوين مؤسسة إعلامية إسلامية ذات ثقل كبير على المستوى العالمي ويكون صوت الإسلام الحقيقي صادحاً بالحق في كافة أرجاء المعمورة .

المطلب الثاني : أساليب الغزو الفكري الإعلامي

ويعتمد الغزو الفكري في المجال الإعلامي على المهارات الآتية :-

أ- تقديم الاباطيل على أنها حقائق ومسلمات .

فهم يفعلون هذا بجرأة عجيبة ، وقدرة على الاستعلاء بالباطل ليس لها نظير، يدفعهم إلى هذا إيمانهم الذي تزكيه تعاليمهم بأن غيرهم من الناس إنما هم مغفلون وبهائم .. ومهما يكن باطلهم مفضوحاً تناقضه الوقائع والأحداث فانهم ، لا يكفون عن متابعة ادعاءاتهم[٤] .

---

(١)التوبة / آية ٣٢ .

(٢)الحضارة الاسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل ، علي بن نايف الشحود www.ahlalhdeeth.com

(٣)ينظر :الدعوة الإسلامية في القرن الحالي . محمد الغزالي (١٥٢) ، دارالشروق ط ١، القاهرة (٢٠٠٠ م).

(٤)ينظر: الغزو الفكري أسبابه ووسائله . عبد الصبور مرزوق (٩٦) .

Issn: 2071-6028

والملاحظ في هذا الأمر استخدامهم للعديد من المصطلحات التي ينشرونها وهي تمثل أفكارهم ، ويحاولون بها السيطرة على كل العالم فكرياً وسياسياً وإجتماعياً ، فما يعرضونه يعتبرونه الصحيح الوحيد على هذه الأرض ، وما يعتقده غيرهم هو أباطيل وخرافات ولاتصلح لهذا الزمن الذي نعيش فيه .

ولقد نجح الإعلام المعادي للإسلام في بلوغ أهدافه في بعض الأحيان ، واستطاع بالثقافة المسمومة واللهو الرخيص أن يفسد الأفكار ويعلق النفوس بالدنايا وهذا نجاح محدود الضرر ، أما النجاح الفادح الضرر المخوف النتائج على المدى القريب والبعيد فهو ما خلفه من عوج في شتى المجالات والمؤسسات الاجتماعية والسياسية بل في شتى المؤسسات التربوية والتعليمية[١] .

ولذلك يحاول الغزاة دائماً أن يصوروا الإسلام دينَ لاهوت* ،بدون قيمة حقيقية ولا قدرة له على التصحيح ، ومن ثم فهو لن يحمي هذه النفوس والعقول من أهواء المغريات التي يطرحها بريق الحضارة تحت الأضواء وحول النار ، نار الشهوات والملذات والمتع والمغريات مع سريان مذهب الإباحية والإلحاد وتشبع الثقافات بها وترويج القصص الجنسية لها[٢] .

ب- التكرار والتنوع في الطرح :-

وهو من الأساليب الإعلامية للغزو الفكري الإعلامي ، وهذه الطريقة تمتاز بالتعدد في الطرح ، بمعنى أن الفكرة التي يراد الترويج لها في المجتمع المطموح في غزوه ، لا تعرض بوجه واحد من وجوه العرض ، وإنما تتعدد الطرائق وتكرر حتى تنتهي إلى إحداث التأثير المطلوب ، ويبدأ عرض الفكرة بشكلها المجرد ثم تعقد بعد ذلك ندوات ولقاءات لشرحها وبيان مزاياها ثم يقوم أنموذج ((مصنوع)) للفكرة في تطبيق بعينه لها ، ثم يكلف أحد الغزاة بإعداد دراسة ((علمية)) عنها ، ثم تفتعل المناقشات ويجري الحوار، ومن ناحية الشكل يتم التنويع أيضاً في أساليب الدعاية للفكرة الغازية ، فهي تنتشر أولاً في كتاب أو صحيفة ، ثم تحول إلى عرض مشخص عن طريق السينما أو المسرح أو التلفزيون ، وفي هذه الوسائل جميعاً يكون الهدف واحداً وإن تنوعت الزوايا التي يتم من خلالها ذلك التناول[٣] .

---

(١)ينظر: الدعوة الإسلامية . محمد الغزالي (١٥٧) .

*اللاهوت : يعني الألوهية ، كما يقال الناسوت لطبيعة الإنسان ،و(علم اللاهوت) علم يبحث في العقائد المتعلقة بالله في المسيحية ، أما(اللاهوتي) فهو العالم بالعقائد المتعلقة بالله . ينظر: المعجم الوسيط ، (باب اللام) ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، تحقيق : مجمع اللغة العربية بالقاهرة (٢ / ٨٤١) ، دار الدعوة ، الإسكندرية ،(ب.ت).

(٢)ينظر: مشكلات الفكر المعاصر . انور الجندي (١٠ – ١١) .

(٣)ينظر: الغزو الفكري . عبد الصبور مرزوق (٩٧)

Issn: 2071-6028

ولكن الأفضل أن يكون هناك عروض متعددة للقضايا الإسلامية توازي كمية العروض المقدمة من قبل الغربيين وإستخدام العديد من الطرق والوسائل المطلوبة .

فمثلاً حرص الحكم الإسلامي على تطبيق نتائج معينة لبحوث الفقهاء سيزيدهم حماسة دون شك ويجعلهم أكثر صواباً وأعمق تفاعلاً مع القضايا التي يبحثونها ، وذلك بعقد المؤتمرات الفقهية الخاصة وإنشاء المجاميع الفقهية وتفريغ العلماء بعد استقدامهم من جميع أنحاء العالم ، وذلك باتاحة الفرصة لهم للتحدث عبر وسائل الإعلام المختلفة لتكوين رأي فقهي عام موحد يقارب الإجماع وما أشبه ذلك [١].

ولقد نجحت وسائل الإعلام الموجودة في تشكيل ثقافة الأمة والتأثير عليها إلى حد بعيد جداً ، وسر نجاحها أنها استطاعت أن تتخطى حاجز الأمية بالوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة أحياناً التي أصبحت تقرأ عبر التلفاز ، وتكمن الخطورة في أنها أصبحت تملك المصداقية لدى رجل الشارع العادي الذي لا يجد أمامه خياراً سوى تصديقها ، أضف إلى ذلك مستوى التقدم المذهل وتقنيات الإرسال والاستقبال وبرامج المعلومات وتقنيات التأثير النفسي على الجماهير [٢] .

ج- الاعتماد على بعض مشاعر النقص لشل حاسة النقد والمعارضة .

إستغل الغزاة هذه النقطة إستغلالاً خبيثاً وواعياً ، منتهزين فرصة القصور السياسي وحالة التخلف التي أصابت شعوبنا ، فأخذوا في تقديم صورة ((الرجل الأبيض)) أو الخواجة على أنه المنقذ والمخلص والذي يمكن الاقتداء به لبلوغ المراد ، وأكثر الناس في العادة سطحيون وبسطاء لاسيما المجتمعات التي تسودها الأمية بمختلف أشكالها ، والذين يدركون الحقائق ويعرفون الخصائص الاجتماعية لتطورات الشعوب هم قلة ويكونون عادة مغمورين ومنزوين[٣]، حينئذٍ وجد الغرب مكاناً يدخل منه إلى المجتمع المسلم ليظهر نفسه بالمظهر اللائق والجميل.

وهذا الأمر بدأ ينتشر كثيراً بين المسلمين حتى وصل إلى تفضيل هؤلاء الغربيين على أبناء المسلمين من خلال مواقف أخلاقية أو اجتماعية يقوم بها هؤلاء الغربيون في البلاد الإسلامية ، وهذا أمر ينذر بالخطر العظيم على هذا الدين الذي جاء بكل التعاليم السمحاء ، لكن بعض أبناء الأمة هم الذين ضيعوا أصول دينهم ونسوا حظاً كبيراً مما ذكروا به ، فكانت النتيجة التي طالما طمح لها الغربيون وهي إعطاء إنطباع جيد عنهم عند المسلمين .

---

(١)ينظر: المسار . محمد أحمد الراشد (٢٠٣) ، دار المنطلق ، ط ٣ ، الامارات العربية ،(١٩٩١ م) .

(٢)ينظر: المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية . علي الشحود، www.ahlalhadeeth.com

(٣)ينظر: الغزو الفكري . عبد الصبور مرزوق (٩٧) .

Issn: 2071-6028

وقد أحسن الغزاة إستخدام هذه الحالة وما يزالون ، ولكن من فضل الله علينا وعلى الناس أن الظروف الاقتصادية في كثير من بلدان عالمنا العربي والإسلامي آخذةٌ بالتحسن ، إما باكتشافات جديدة لمصادر الثروة فيها ، أو بحسن الإستخدام الجيد للموجود فيها[١] .

إن هناك حالة اضطرار لتأصيل الفكر الإسلامي في المجالات العلمية المختلفة ومنها المجال الإعلامي على أساس أن الأمة الإسلامية حرمت طويلاً من الإسلام ومن أعمال قيمة في الحياة[٢] .

وليس خافياً أن مجهودات وسائل الإعلام المعادية تركز على جانب خبيث في الفكر الإعلامي يعرف بمصطلح : (حشد اهتمام الرأي العام) ، ولو تتبع أي أحد إتجاهات الإعلام (لا أقول في دول الكفر بل في الدول التي تستظل بمظلة الإسلام) سيجدها في أقل أحوالها منصبةً على تخدير الشعور الديني ، وإذا زاد الخبث قليلاً فإنهم يعملون على إثارة الغرائز وإغراق النفوس بالشهوات الحيوانية، وإذا تعاظم الخبث فإنهم يعملون حينئذٍ على تشويه معالم الدين وقلب الحقائق ، وهذا لعمري أعظم الآفات[٣] .

إن الأخذ بالوسائل الإعلامية المعاصرة يساعد الحركات الإسلامية والدعاة إلى الإسلام عموماً على التعريف بأهداف الدعوة ومقاصدها ، ليعلم الناس أن قضية الإسلام قضية عادلة ، لا كما يصورها الأعداء بنعوت وأسماء زائفة تخالف الحقيقة ، وإن في عصرنا الحالي يمكن توظيف وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية للقيام بوظيفة البلاغ المبين وإرسال رسالة الإسلام إلى جميع الفئات الإجتماعية ، حيث يستفاد الدعاة من التطور التقني الهائل في مجالات الإتصال لتبليغ دعوتهم ونشر أفكارهم وعقيدتهم[٤] .

ولذلك كان ولا يزال لزاماً على المسلمين القادرين أن يسعوا في سبيل دفع الشبهة عن الإسلام وتعريف الناس بكتاب ربهم وسنة نبيهم ، مع الأخذ بعناصر التشويق والتشديد والموضوعية في طرح البرامج الإعلامية الإسلامية وغيرها، واستخدام أحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا وعلوم الإعلام المعاصرة حتى يكون الإسلام فاعلاً ومؤثراً في كل أرجاء المعمورة .

---

(١)ينظر: الغزو الفكري . عبد الصبور مرزوق (٩٨) .

(٢)ينظر: قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر . حسني محمد نصر وآخرون (٣٣١) ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الولايات المتحدة (١٩٩٦ م) .

(٣)ينظر: ثلاثون طريقة لخدمة الدين . رضا أحمد صمدي ، تقديم : محمد حسين يعقوب (١٧) ، مكتبة الفهيد جدة (١٤٢٠هـ) .

(٤)ينظر: فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم . علي محمد محمد الصلاّبي (١ / ٣٥٨) ، ط ١ دار البيارق، الأردن ، (٢٠٠٦م) .

Issn: 2071-6028

كذلك فإن اختيار الدعاة على وفق مواصفات أدق مما يظهر الآن ، وتوسيع آفاق الدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامي بحيث تستوعب ميادين النشاط الإنساني جميعاً ، زد على ذلك بسط الرعاية الدينية على المسلمين المهاجرين إلى الخارج والإفادة من مواقعهم الاجتماعية والثقافية حتى يكونوا معابر لرسالتنا العظيمة بدلاً من أن يذوب هؤلاء في دوامة الحياة الغربية(١)، ولذلك فإن محورالإعلام الإسلامي هو الصدق ونشدان الحق وحب الخير للناس أجمعين ، والإعلام الإسلامي يرسم صورة صادقة لرسالة النبي محمد_صلى الله عليه وسلم_ لاتزيد فيها ولاتنقص منها وليس لديه مايخفيه اويستحيي منه ،وهو حسن الظن بالفطرة الإنسانية يرى أنها يوم تعرف الحق تبادرإلى قبوله، ومن هنا فإن العبء ثقيل على أجهزة الدعاية الإسلامية ، والتي ينبغي عليها العمل ليلاً ونهاراً لمحو هذا الجهل الغالب.

المطلب الثالث : العولمة ودورها في الإعلام المعاصر

إن قضية كبرى (كالعولمة)[٢*] لا تزال الأمة الإسلامية تخوض في بحرها بين محسن ومسيء وصامت وشاك ، دون أن يكون هناك كلمة موحدة تعبر عن لسان حال الأمة أو حتى الاجتماع في خطوط معينة ، فهناك فريق يحذر من العولمة ويعدها الطامة الثائرة التي سوف تسلب الأمة هويتها وتمحو دينها وتكسر مبادئها وأصولها .

وآخر يقول بأنها ظاهرة عالمية ذات صلة وثيقة بنظام التجارة العالمية ولا ضرر ولا ضرارمنها ، ومعتدل قرر محاسنها ومساوئها ودعا للعمل والمواجهة وترك الجدل والمنازعة(٣) .

ولسنا بصدد حديث متخصص حول العولمة ، لكننا سنتناول جانباً مهماً من الجوانب التي هي على علاقة وثيقة بالعولمة ، بل إن العولمة لم تصل إلى كل أرجاء العالم لولاه ألا وهو جانب الإعلام ، فأهمية الإعلام بالنسبة لقضية العولمة لا تخفى على كل ذي بصيرة ، فهو أول الأشياء التي جعلت هذا العالم قرية صغيرة من حيث نقل الأحداث بالصوت والصورة وفي كل أرجاء العالم وخلال لحظات .

---

(١)ينظر: الدعوة الإسلامية . محمد الغزالي (١٥٧) .

(٢)ينظر: الدعوة الإسلامية. محمد الغزالي(١٥٠).

(٣) إن العولمة كلمة جديدة ، وهي مصطلح حديث لم يدخل بعد بشكل كبير في القواميس السياسية والاقتصادية، ومن تعاريفها : هي الحالة التي تتم فيها عملية تغير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث على وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة التي تزعم أنها سيدة الكون وحامية النظام العالمي الجديد . ينظر: التربية الإسلامية وتحديات العصر . عبد الرحمن بن عبد الله الفاضل (٧٢) ، جامعة أم القرى السعودية ، (٢٠٠٧م).(٣)أزمة الفهم ، أسبابها ، مظاهرها ، منافذ الخروج منها ، حمزة بن ضايع الفتحي (٣) جامعة الملك فهد ، السعودية .

Issn: 2071-6028

فالعصر الحاضر هو عصر وسائل الإعلام والانترنت ، وستكون هذه هي مصادر الثقافة عند شريحة كبيرة من المجتمع ، لاسيما المثقفون منهم وسيبدأ الأمر بالانتشار شيئاً فشيئاً حتى يصل الى التأثر الفكري المباشر والتقليد الأعمى للغرب في كل توجهاته وممارساته وأفكاره .

لقد أضحت وسائل الاعلام اليوم تمتلك الكثير مما يجعلها قادرة على النفاذ إلى حيث يمكن أن تعم وتنشر الآراء والأفكار في تغيير الاتجاهات والقناعات بل أصبحت اليوم فاعلة في جمع ما هو خصوصي وإقصائه ، وهي تسهم في إخضاع النفوس وتغيير الأذواق وتوجيه معارف وعلوم أخرى وإحلالها ، وكل هذا يعمل بشكل علني ، وان الإعلام نفسه أول مفهوم من مفاهيم العولمة الذي بشر بولادة القرية الكونية التي تعبر عن اختصار المسافات ورفع الحدود والخصوصيات الثقافية وإدخال العالم في آلية حتمية تمكن الذين يمتلكون تقنيات الاتصال وتسهل عليهم فرض مفاهيم التأثير على الآخرين ، وقد وصف الرئيس السابق ريتشارد نيكسون* في كتابه (نصر بلا حرب) ما حققته الولايات المتحدة في ميادين الإعلام بقوله :

" ان الولايات المتحدة الامريكية تخوض معركة الأفكار وفي أحوال كثيرة جداً وهي غير مسلمة ، ومن أكثر البرامج السياسية فاعلية والتي تقدمها الولايات المتحدة الامريكية على الإطلاق هو دعمها لإذاعة أوربا الحرة ، وينبغي لنا كشف السبل لاستغلال التكنولوجيا والمعلومات الحديثة والحواسيب الآلية والأقمار الصناعية وأجهزة الفيديو لخوض معركة الإحتكار "[١].

وعليه فان مصطلح العولمة قد احتل حيزاً واسعاً في المرحلة الراهنة في وسائل الاعلام الغربية وفي النصوص السياسية الأمريكية ، ومعظم دول الأطلس التي تدور في فلك امبريالي واحد ، على الرغم مما بدأ يظهر من عناصر التمايز والتنافس على المصالح ضمن الدائرة الرأسمالية الواحدة[٢] .

*ريتشارد نيكسون : ولد عام ١٩١٣ م في ولاية يورباليندا ، كاليفورنيا وتخرج من كلية ميتير بكاليفونيا عام ١٩٣٤ م ، وهو الرئيس السابع والثلاثون للولايات المتحدة ، وكانت له إدارتين الأولى من ((١٩٦٩م– ١٩٧٣م)) والثانية من ((١٩٧٣م– ١٩٧٤م)) ، وهو الرئيس الوحيد الذي استقال من منصبه في ١٩ اغسطس ١٩٧٤م بعد ما كان يواجه اتهاماً مؤكداً لتورطه في فضيحة ووترجيت السياسية . ينظر: الموسوعة العربية العالمية ، (١٨٧/١).

(١)نقلاً عن : عولمة الإعلام . تيارات شومسكي ، ترجمة : كامل عويد العامري (١٤٣) ، منتدى الفكر العربي، العدد(١٤) عمان (١٩٧٧) .

(٢)ينظر: عولمة الإعلام . شومسكي (١٤٥) .

Issn: 2071-6028

فثورة التكنولوجيا والإتصال غالباً ما تثير القلق والعديد من التساؤلات التي تصب في موقع الدول النامية ، من التنافس الجشع بين الشركات المتعددة الجنسية وغزو الأسواق[١] .

" إن عملية التبادل الإعلامي بالدرجة الأولى على أخبار الدول الكبرى المتطورة الفنية وأخبار بعض الدول الأقل تطوراً المؤثرة في ميدان الأحداث السياسية الدولية ، والسبب سيطرة هذه الدول ومنها الولايات المتحدة الأمريكية أولاً ، وبريطانيا وفرنسا بشكل أقل وغيرها من الدول المتطورة على وسائل الإعلام الدولية ، مما يتيح لتلك الدول فرض وجهة نظرها من خلال التبادل الإعلامي الدولي أحادي الجانب"[٢] .

ولذلك نرى أن أي ظهورلأية قناة إعلامية عربية تنافس تلك الدول في سياستها ، يعرضها غالباً للمحاربة من تلك الدول ، لأن تلك الدول لا يروقها أن تظهر قوة إعلامية مهما كانت إلتزمها بنمط معين لا سيما نمط السياسة الشرعية أو الخطاب الديني .

وهناك سبب آخر لاحتكار الدول الكبرى الإعلام ، ذاك هو القدرة المالية، فعملية الحصول على الأخبارالدولية بحد ذاتها باهضة الثمن ولا تستطيع تحمل نفقاتها إلا الدول المتقدمة والغنية كما هو الحال دائماً ، فإننا نرى أن الدول النامية والفقيرة لا تزال كما كانت سابقا تعاني من نقص حاد في الخدمات الإعلامية ونقص في وسائل الاتصال الألكترونية ومحطات البث والإستقبال الإذاعي فضلاً عن إستفادة تلك الدول من خدمات شبكة الأقمار الصناعية في مجال البث التلفازي الفضائي[٣] .

ونتيجة لهذا التفاوت في صناعة الألكترونيات وصناعة البرامج بين الدول الصناعية أو ما تعرف بالدول المتقدمة والدول النامية أو ما تسمى بدول العالم الثالث ، فإن الإعلام يتدفق باتجاه واحد من الشمال إلى الجنوب مما أنشأ رواجاً لهذا التدفق الإعلامي القادم باتجاهنا ، وذلك من خلال البرامج الوافدة التي ركبت موجات محطاتنا الوطنية[٤] .

المطلب الرابع : أهمية الإعلام في مواجهة الغزو الفكري

إن الصراع الفكري في ساحة الإعلام يتطلب تقديم ما يُكتب وما يُعرض في وسائل الإعلام بعقلية عربية إسلامية ، ملتزمة بقضايا أمتنا العربية والإسلامية وتراثها وعقيدتها وتاريخها المجيد

(١)ينظر: الاتصال والتنمية . عبد اللطيف عبد الجليل (٣٣٠) ، سلسلة مطبوعات المملكة المغربية ، الدار البيضاء (١٩٩٧ م) .

(٢)العولمة والتبادل الإعلامي الدولي . جابر فلحوط ، محمد النجاري (٦٦) ، منشورات علاء الدين ط١ ، دمشق (١٩٩٩ م) .

(٣)ينظر: العولمة والتبادل الإعلامي . جابر فلحوط (٦٦).

(٤)ينظر: التدفق الإعلامي من الناحية التقنية . أسامة أحمد غفور (٩٩) ، دار الرشيد ، بغداد (١٩٨٢ م)

Issn: 2071-6028

المليء بالبطولة والنبل والمآثر الإنسانية والشخصيات الخالدة التي تركت بصماتها التي لا تمحى على تاريخ البشرية[١] .

ويطرح الناس اليوم مسألة صنع إعلام إسلامي ويرون في ذلك الحل لاشكالية الاعلام ، وهذا حقيقة فالإعلام البنّاء الذي نحتاجه هو الإعلام الذي تقوم رسالته على منطلقات إيمانية نابعة من الإسلام ورسالته السمحاء الخالدة ، الإعلام الذي يهدف إلى رفع مستوى فكر الإنسان ومعاشه ، إطلاقاً من الأمر الإلهي بتكريم الإنسان بعد استخلافه في الأرض لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[٢] .

" فالإعلام الإسلامي هو الإعلام الذي يعالج مختلف قضايا الحياة من منظور مستمد من المصادر التشريعية ، وتقديم هذه القضايا والأحداث للجماهير بلغة استخدام الفنون الإعلامية الملائمة والإفادة من كل وسائل التكنولوجيا الحديثة" [٣].

وبهذا لا يمكن مواجهة الغزو الفكري في مجال الإعلام إلا بتكوين إعلام إسلامي ناجح و ذو تأثير فعال في الدول العربية والإسلامية أولاً وفي الدول الغربية ثانياً ، حتى تصل صورة الإسلام الحقيقية إلى تلك الدول ويتم هذا عن طريق تكثيف الخطاب الديني في القنوات المسموعة والمرئية ومواقع الانترنت ووسائل الإعلام الحديثة ونشر المقالات الإسلامية ذات المواضيع الهادفة التي يمكن أن تعود بالنفع على المستقبل وتؤثر تأثيراً مباشراً في سلوك تفكير الإنسان .

ويمكن للإعلام الإسلامي أن يقوم بهذا الدور من خلال وسائل الإعلام المعاصر والتي من الممكن استخدامها للوقوف بوجه كل الأفكار التي تحاول الدوائر الغربية الإستعمارية أن تفرضها على العالم الإسلامي ، والتي قسمها المختصون في وسائل الإعلام كما يلي :

١- الإعلام المرئي : ويشمل التلفزيون والفضائيات والسينما والمسرح .

٢- الإعلام المسموع: ويشمل الإذاعات.

٣- الإعلام المرئي والمسموع معاً: ويشمل الخطب والمحاضرات.

٤- الإعلام المقروء: ويشمل الصحافة والكتب والنشرات. [٤]

---

(١)ينظر: قراءة في الإعلام المعاصر الإسلامي . محمد منير(٣٤٣) دار بيروت المحروسة ، بيروت (١٤١١هـ)

(٢)يونس / الآية ١٤.

(٣)الإعلام الاسلامي في التلفزيون . هاشم أحمد إنغيمش (٢٩) ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، بغداد (٢٠٠١ م) .

٤) ينظر: كيف نبني مؤسسات الإعلام على أسس إسلامية . محمد عبد الله السمان (٤١٧)

Issn: 2071-6028

ولعل الدور الذي يقوم به الإعلام الإسلامي اليوم هو دور بالغ الأهمية ، فهو يسعى اليوم إلى تقوية وتعزيزشخصية الأمة الإسلامية وإعادة الثقة الضائعة للأجيال ، والذين كانو ضحية التوجيه الإعلامي المعادي وذلك من خلال استثمار المنجز الإسلامي في قرون الإلتزام والقدوة وتوظيف التاريخ الزاهر في وسائل الإعلام المختلفة مرئية ومسموعة ومقروءة.

المبحث الثاني

نماذج لشبهات حول الإسلام

لقد ترددت عشرات الشبهات حول جوهر الفكر العربي الإسلامي في محاولة للانتقاص منه ، ومرجع هذه الشبهات في الأغلب إلى عجز الباحثين المتصدين لهذه القضية عن فهم جوهر هذا الفكرنتيجة تأثرهم بفهم كلمة ((دين)) والترجمة اللفظية لكلمة((إسلام)) ، وللعلاقة بين الدين والعلم التي عرف الغرب تاريخها ومواقفها ، ومحاولة فهم الإسلام على أنه دين فحسب ، بينما هو دين ومدنية وفكر، والباحثون المنصفون حاولوا التعمق في هذه المسائل[١] .

" وقد كانت السياسة المطلوبة من وراء تلك الشبهات توهين عرى الدين ونزع قداسته من نفوس أهله ، وتشويه صورته في أفكارهم وضمائرهم لينسلخوا منه وينفروا من التمسك بأحكامه وآدابه ، حتى يستطيع المستعمرون أن يستقروا في هذه البلاد " [٢] .

والملاحظ أن هؤلاء الذين يثيرون الشبهات حول الفكر الإسلامي خصوصاً أو حول الإسلام وأنظمته عموماً لا يعرفون عن الاسلام إلاّ ما يريدون أن يثيروا حوله الشكوك أو أن يشوهوا مبادئ الإسلام من خلال بث تلك الشبهات ، وهم بذلك يحاولون السيطرة على عقول المثقفين والتأثير بهم باعتبارهم الطبقة المهمة والمستهدفة من وراء إثارة تلك الشبهات ، فنحن في عصر اشتّد فيه الكيد للإسلام والمسلمين واتُهم الإسلام ورسوله بتهم هما منهم براء .

قال تعالى : ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[٣] .

وظواهر هذا الهجوم على الإسلام كثيرة ومتباينة تكاد العقول الواعية تضل بين دروبها ومنعطفاتها ، حتى تستلم إلى حالة من الحيرة القاتلة لطول ما تعاني من أزمة الاقناع وعدم

(١)ينظر: الفكر الاسلامي والثقافة العربية . أنور الجندي (١٧٨) .
(٢)شبهات حول الإسلام . محمد قطب (١٣) ، دار الشروق ، ط ٢١ ، القاهرة (١٩٩٢ م) .
(٣)الكهف / من الآية ٥ .

Issn: 2071-6028

الرغبة في السماع من أولئك الذين احتوتهم هجمات التخريب ، فانكمش العقل بين ضجيج الحناجر الصاخبة وروائح الفتنة الصاخبة يلتمس الطريق إلى الخلاص[١] .

المطلب الأول : الإسلام ونشأة الفكر

يقول ((آندريه هرفيه)) إن التعاليم الإسلامية ليست بشيء سوى عصارة فكر العرب القديم ، ويرد((فريد وجدي)) قائلاً : " كان العرب وثنيين يعبدون آلهةً كثيرة ، وكانوا يجعلون الحق للقوة ، وكانوا لا يعرفون للعدل حدوداً إلاّ ما تقرره التقاليد المبنية على أصول مناسبة للحالة القبلية التي كانوا عليها ، وكانوا لا يقيمون للمساواة وزناً بين الأقوياء والضعفاء ولكن بين البيوتات والجماعات"، فلما جاء الإسلام أمر بتوحيد الله وتنزيهه وأسقط الوسطاء وأخلى ما بينه وبين خلقه ، ونهى عن التقليد دون نظر ولا دليل ، ودعا إلى التفرقة بين الحق والباطل ، ودعا إلى العلم والفكر وإلى التقيد بنواميس الأخلاق ، وإلى تجريد العمل لله في جميع المقاصد ، وحرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأهاب بالناس إلى لزوم النظام في كل شيء والاجتماع والألفة تحقيقاً للوحدة الإنسانية وإلى الحياة الحضرية الفاضلة وما تقتضيه من تعاطف وإحسان[٢] .

ويحاول أنصار المنهج الغربي جاهدين إثارة الشكوك في أصالة الفكر الإسلامي وذاتيته ، والعمل على تجزئة هذا الفكر وتحجيمه وسلبه صفة الشمول والتكامل ، وفي سبيل ذلك أُثيرت مجموعة من الشبهات حول الفكر الإسلامي[٣] .

" و يركز أصحاب المنهج الغربي دائماً على تعميق فكرة تأثر الفكر الإسلامي بالفكر الأجنبي الأوربي ، ويحاولون تأييد هذا الزعم من خلال تفحص مختلف العناصر الأدبية والإجتماعية لتصوير الجوانب الإيجابية في الفكر الإسلامي وكأنها معطيات الفكر الغربي" [٤] .

لقد حاول الغربيون دائماً أن يصوروا الفكر الإسلامي بأنه فكر مقيد وغير حر بما يكفي ، لأنه يتعامل مع النصوص تعاملاً حدياً لا نقاش ولا جدال فيه ، وكثيراً ما يُتهم المسلمون بأنهم في جمود وخمول فكري دائم ، ولكن لنرى ما هي حرية الفكر التي يريدها هؤلاء للمسلمين ؟ أيريدون أن يتخلى المسلمون عن دينهم ويدخلوا في طريق الشك والإلحاد ونبذ الدين والتمسك بالعلم كما فعلت أوروبا في القرون الوسطى؟

---

(١)ينظر: شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها . محمد متولي الشعراوي ، جمع واعداد: عبد القادر أحمد عطا (١١) ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة (ب . ت).

(٢)نقلاً عن الفكر الإسلامي والثقافة العربية . أنور الجندي(١٧٢) .

(٣)ينظر: الثقافة الإسلامية . راشد شهوان وآخرون (٣٦٨) .

(٤)أخطار المنهج الغربي الوافد . انور الجندي (١٠٩) دار الكتاب اللبناني ط ١، بيروت (١٩٧٤ م) .

Issn: 2071-6028

والجواب أن هذا لن يكون ، لأنه ليس في العقيدة الإسلامية من إشكال يحير الذهن ، فمعبودهم هو الله الواحد ، وهو الذي خلق الكائنات كلها وحده وإليه مرجعها وحده لا شريك له ولا معقب لكلماته ، فكرة بسيطة واضحة لا يختلف عليها أحد من المسلمين ولا ينبغي أن يخالف فيها عاقل[١] .

وليس في العقيدة الإسلامية ولا النظام الإسلامي ما يقف في طريق العلم بنظرياته وتطبيقاته ، ووقائع التاريخ هي الحكم في هذا الشأن ، فلم نسمع بأن عالماً حُرّق أو عُذّب لأنه اكتشف حقيقة علمية ، والعلم الصحيح لا يتعارض مع عقيدة المسلم في أن الله هو الذي خلق كل شيء ، ولا يتعارض مع دعوة الإسلام للناس أن ينظروا في السموات والأرض ويتفكروا في خلقها ليهتدوا إلى الله ، وقد اهتدى إلى الله كثير من علماء الغرب الملحدين أنفسهم عن طريق البحث العلمي الصحيح [٢].

لكن مع كل هذه التحذيرات التي نادى بها المفكرون والتي تحذر من خطر دخول تلك الأفكار إلى المجتمع الإسلامي ، فقد عبرت ألوان من الألحاد إلى المجتمع الإسلامي بمختلف الوسائل وفي ظل شعارات معينة .

فالوضعية تقدمت من خلال الفلسفة وعلم الاجتماع ، وهذه عادت الدين عامة والإسلام خاصة ، والماركسية تقدمت من خلال الفلسفة وعلم الإقتصاد وغيرها كالنفعية والوجودية ، ولم تدخل تلك الفلسفات إلى مجتمعنا إلاّ كما تدخل أية بضاعة مستوردة مستغلةً بذلك الفراغ الديني والجهل بالإسلام ، فضلاً عن تطور الحضارة الغربية الذي كان مسيطراً على المجتمعات الإسلامية[٣] .

المطلب الثاني : الإسلام والمثالية

شبهة أخرى من الشبهات التي أُثيرت حول الإسلام ولأكثر من مرة ، ويحاول الغربيون من خلالها إعطاء صورة عن الإسلام بأنه لايصلح إلاّ للوقت الذي ظهر فيه ، ذلك الوقت الذي كان فيه المجتمع بحاجة إلى إحداث ثورة تغيير الواقع ، فهؤلاء لايعدون الإسلام سوى ثورة ونهضة إنتهت مع نهاية ذلك الزمان .

---

(١)ينظر: شبهات حول الإسلام . محمد قطب (١٣٨) .

(٢)ينظر: م . ن (١٣٩) .

(٣)ينظر: أزمة المثقفين تجاه الإسلام في العصر الحديث . محسن عبد الحميد (٤٩ – ٥٠) ، مطبعة وزارة التربية ط٣ ، بغداد (١٩٩٨ م) .

Issn: 2071-6028

وهم يقولون : ((أين هو الإسلام الذي تحدثوننا عنه أيها المسلمون ؟ ومتى طُبّق في وضعه الصحيح ؟ إنكم تحدثوننا دائماً عن نظام مثالي رائع في ذاته ولكنه لم يوجد بالصورة التي تصفونها في الواقع وعلى الأرض إلاّ في فترة قصيرة من حياة الرسول والخلفاء الراشدين ، أو بالأحرى الخليفتين الأول والثاني، ورحتم تتشبهون بعمر بن الخطاب خاصة ، تجلون في شخصه صورة الإسلام ، وتعرضونها باهرةً تتلألأ في العيون ، حتى إذا فتشنا حولها لم نجد إلاّ ظلمات بعضها فوق بعض ، ومنها إقطاعاً وظلماً واستبداداً وتأخراً ورجعية))[١] .

تلك هي دعوى الشيوعيين وأشباههم ، بل هي شبهة قوية في نفوس المسلمين أنفسهم الذين لم يدرسوا التاريخ الإسلامي إلا على أيدي المستعمرين .

وإذا لم يتكرر عهد الخلفاء الراشدين مرة أخرى إلا في فترات خاطفة من التاريخ كعهد عمر بن عبد العزيز فيجب أن نجعل في بالنا أمرين :

الأمرالأول : إن القفزة التي قفزها الإسلام بالبشرية من وهدتها التي كانت فيها إلى مستواها الرفيع في عهد الخلفاء الراشدين لم تكن قفزة عادية ، فهي معجزة من معجزات الإسلام التي حققها في واقع الارض ، ولكنها كانت بحاجة إلى إعداد طويل وتربية شخصية للأبطال الذين حققوا تلك المعجزة في أشخاصهم وأعمالهم جميعاً .

الأمرالثاني : إن هذه القفزة الإسلامية لم تكن طبيعية بالنسبة ((للتطور)) البشري ، فقد رفعت الناس بطفرة عظيمة من الرق إلى صورة من العدل الاجتماعي لا تزال تعد خطوة تقدمية بالنسبة لكل النظم التي جربتها البشرية[٢] .

ويرى((جب)) أن الفكر العربي الإسلامي قد إستطاع أن ينشئ خلال السنين الطويلة توازناً اجتماعياً يدعو إلى الاعجاب من جميع الوجوه[٣] .

وإذا أردنا أن نثبت لهؤلاء أن ذلك المجتمع المثالي ممكن أن يتكرر فعلينا أن نعيد تلك الأمجاد التي قام بها أسلافنا من صحابة رسول الله ، أو على الأقل نقرأ سيرتهم لنعرف كيف ضحوا بدمائهم وأموالهم من أجل نصرة هذا الدين .

وإذا كانت المثالية تعني التشرف والتسامي وإرضاء الله وضبط النفس وتهذيب الغرائز فيجب أن يكون التشريع مثالياً ، ومن السماجة أن يعاب الإسلام في هذا المضمار[٤] .

---

(١)ينظر: شبهات حول الإسلام . محمد قطب (١٥٥) .

(٢)ينظر: شبهات حول الإسلام . محمد قطب (١٥٧ – ١٥٨) .

(٣)نقلاً عن الثقافة العربية . أنور الجندي (١٧٨) .

(٤)ينظر: الحق المر . محمد الغزالي (٨٩) .

Issn: 2071-6028

فمن أخذ بالإسلام وتمسك به فقد آوى إلى ركن شديد ، وعصم نفسه من السقوط في مهاوي الكفر والضلال ، فهو إنسان مثالي في الحياة ، له من دينه ما يبعث فيه القوة والحيوية وما يتوجه به لكل فضيلة ويدفع عنه كل رذيلة حتى يصبح الرجل الكامل الذي ترمقه كل عين ، لا يغش ولا يكذب ولا يبخل ولا يجبن ولا يسرق ولا يزني ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، دأبه الإصلاح ودينه التقى والصلاح ، يخلص في السر والعلانية ، ويعدل في الرضا والغضب ويقتصد في الفقر والغنى ، ويعفو عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، همته فكر ، ونطقه ذكر ، ونظره اعتبار ، وهو خير رجل خرج للناس ، وأمته خير أمة أُخرجت للناس يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[١] .

قال تعالى :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٢]

ولاشك أن هذه الصفات وغيرها لم يتصف بها سوى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الشخصية المثالية الفريدة في هذا العالم ، ولكن السؤال هل إن أحداً من المسلمين اليوم حاول أن يقتفي أثر النبي عليه الصلاة والسلام في قوله وفعله؟ والجواب هو إن القلة القليلة اليوم هي مِن المسلمين مَن يتمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فالمسلمون اليوم قد تأثروا بكل شيء غربياً كان أو شرقياً ، إلا تأثرهم بدينهم الذي ارتضاه الله لهم ، فهم في هذه الأيام أبعد ما يكونون عنه دينهم إلا ما رحم الله .

وإذا كانت الفترة ((المثالية)) من حياة الإسلام لم تدم ولم يكن مقدر لها في علم الله وفي طبائع الأشياء أن تدوم ، فإن اليوم ينبغي أن توجد لتظل صورةً باهرةً معروضةً للأنظار ، تحاول الأجيال المتعاقبة أن تنهل منها ما تستطيع ، ويصل إلى مستواها الرفيع أفراد متعاقبون على مدار الأجيال ، يعيدون للإسلام حيويته وقوته كلما بعد العهد وطالت الشقة وتهاوى الناس في الطريق ، وتلك فيما نحسب حكمة وجود تلك الحقبة النادرة بكل مثاليتها كما قدرها الله في عليائه، وكما تحققت في واقع المسلمين في أربعة عشر قرناً توالت فيها الظلمات والنور[٣].

---

(١)ينظر: صوت الإسلام في العراق . محمد محمود الصواف (١ / ٨٥) ، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر ، بغداد (١٩٥٥م) .

(٢)آل عمران / الآية ١١٠ .

(٣)ينظر: هل نحن مسلمون . محمد قطب (١ / ٧١) ، دار الشروق ، ط ٦ ، القاهرة (٢٠٠٢ م) .

Issn: 2071-6028

المطلب الثالث : الإسلام والعلم

من الأشياء التي يذيعونها وينشرونها إعلامياً ويؤثرون بها على الشباب المسلم أنهم يقولون إن إسلامهم أوقفهم في الأرض موقف التخلف ، وجعلهم في هذه الأرض بمنزلة الأتباع دائماً ، يعني أن الإسلام كله فقير متخلف[١] .

والجواب : لا لأنهم كانوا يسمون عصورهم في أوروبا بالعصور المظلمة في القرون الوسطى ونحن كنا في غاية الأرتقاء ، فالرشيد أرسل إلى شرلمان ساعة دقاقة تدق بالماء ، فلما وصلت إلى فرنسا قالوا : إن فيها شيطاناً، وإذا أردنا أن نعرف مدى ارتقاء المسلمين بالإسلام فعلينا أن ننسب كل علم موجود الأن إلى أصله لنجد أن بذرته والرواد الأوائل فيه هم علماء المسلمين ، حيث كانوا القنطرة التي عبر عليها الأوربيون إلى حضارتهم وهذا باعترافهم[٢] .

لقد كان للمسلمين الأسبقية في اكتشاف أكثر العلوم والمعارف ، ولكن الذي حدث أن من جاء بعدهم لم يكمل تلك المسيرة العلمية ، فاستغل الفرنسيون هذا الأمر وسيطروا على تلك العلوم وطوروها ونسبوها إلى أنفسهم ، مع أن أغلب الاختراعات هي من صنع المسلمين الأوائل وفي كل العلوم ، في الطب والفلك والهندسة والرياضيات وغيرها من العلوم .

وقد تفوق المسلمون في العلوم ، وكان تفوقاً ناشئاً من الأسلوب الذي توخوه في البحث ، وهو الأسلوب التجريبي العملي ، ويلاحظ المطالع لكتبهم القدرة في الميكانيكا وعلم توازن السوائل ونظريات الضوء والإبصار ، إنهم قد اهتدوا إلى حلول مسائلهم من طريق التجربة والنظر وبواسطة الآلات ، وهذا الأسلوب أدى إلى أن يكونوا أول الواضعين لعلم الكيمياء والمكتشفين لعدة آلات للتقطير والتصنيع والإماعة (إسالة الجوامد) والتصفية ، وهذا بعينه جعلهم يستعملون في أبحاثهم الفلكية الآلات المدرجة والسطوح المعلمة والاسطرلابات ، وهو أيضاً الذي دفعهم إلى استخدام الميزان في الأبحاث الكيميائية والذي هداهم لعمل الجداول عن الأوزان النوعية للأجسام والأزياج الفلكية ، وهو الذي أوجدهم هذا الترقي الباهر في الهندسة وحساب المثلثات ، والذي همّ بهم لاكتشاف علم الجبر[٣].

إن التفريط في أي جزء من أجزاء العلوم المفروضة فرض عين ، أو فرض كفاية ، يترتب عليه عقوبة فطرية ، وأي علم مكروه أو محرم نتعلمه أو نتساهل في تعليمه يترتب على ذلك عقوبات فطرية .

---

(١)ينظر: شبهات وأباطيل خصوم الإسلام . محمد متولي الشعراوي (١١٠) .

(٢)ينظر: المصدر نفسه .

(٣)ينظر: الفكر الإسلامي . أنور الجندي (١٧١) .

Issn: 2071-6028

" وعندما نفرط في تعلم فرض من فروض الكفاية نصبح محتاجين لغيرنا فيه وغيرنا قد يضغط علينا أو يشترط شروطاً لغير صالحنا ، أو يغشنا فيضربنا من حيث أردنا ان ننتفع منه وفي ذلك كله عذاب"(١) .

ولا يوجد أي تناقض بين مبادئ الإسلام وبين الاهتمام بالعلوم لاسيما المفيد منها الذي يعود على البشرية بالنفع ، فالأسبقية في تحصيل العلوم واكتشافها كانت دائماً للمسلمين الأوائل كما أسلفنا الذكر ، بل إنه من أحد العلوم الشرعية المهمة اليوم هو الإعجاز العلمي الذي أبدع فيه الكثير من علماء هذه الأمة ومفكريها ، وهم دائمو الحديث عن علاقة الظواهر العلمية والكونية بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية ، بل هو أيضاً يعتبر من الإختصصات النادرة في علوم الشريعة الإسلامية .

إن العلم الحديث تحسس طريقه في الحياة وحده ، وإنه لم يجد معونة ألبتة من الكهانات الأولى ، بل لم يخلص مسيره من العوائق المثبطة إلا بعد ما هشم هذه الكهانات وأفقدها حراكها وشقى دهراً طويلاً في مصارعتها والتغلب عليها ، وهنا نجد فرقاً ضخماً بين أحوال الشرق الإسلامي والغرب المسيحي يسجله تاريخ العصور الوسطى ، إن ارتقاء الحضارة واستبحار العمران اقترنا بازدهار الإسلام في بلاده ، ولم تنحدر أحوال المسلمين المادية والأدبية إلا في العصور التي انحطت فيها الثقافة الإسلامية واستعجم فيها هذا الدين(٢) .

المطلب الرابع : الإسلام والمدنية

لعل اتهام الإسلام بأنه مضاد للمدنية أو معوق لها كان من بين الاتهامات الضخمة والواسعة المدى التي ترددت على أقلام كتاب التغريب ، وحاولت أن تثير شبهة قوية وتؤكدها ، وهذه الشبهة يدّعون من خلالها أن الإسلام كان ضد المدنية ومن أجل هذا تأخر أهله وتقدم غيرهم ، ومن هنا فإن الوسيلة لتقدم المسلمين وغيرهم من أهل الشرق هو التحرر من الإسلام ، وقد جرى هذا الاتهام في دائرة واسعة شملت العلم والفلسفة وشملت الحضارة وأثارت الشبهات حول التعصب وحاولت أن تربط ذلك بحريق مكتبة الاسكندرية وغيرها من المواقف التأريخية .(٣)

لقد كان الإسلام صالحاً لأولئك الحفاة الجفاة من الأعراب قبل أكثر من ألف عام ، وكانت سذاجته وبدائيته مناسبة للبيئة البدوية التي نشأ فيها ، أما اليوم فهل يصلح في عهد المدنية والحضارة الآلية ؟ عصر الطائرات الصاروخية والقنابل الهيدروجينية وناطحات السحاب والسينما

(١)الإسلام . سعيد حوى (٦٥٣ – ٦٥٤) ، دار السلام للطباعة ، ط ٤ ، القاهرة (٢٠٠١ م) .
(٢)ينظر: الدعوة الإسلامية . محمد الغزالي (٥٥) .
(٣)ينظر: الفكر الإسلامي والثقافة العربية . أنور الجندي (١٦٥) .

Issn: 2071-6028

المجسمة ؟ إنه دين جامد لا يتفاعل مع الحضارة الحديثة ، ولا مناص من نبذه إذا أردنا أن نتحضر كبقية خلق الله[١] .

وهذه من الشبه التي تحدث بها الغربيون من المستشرقين وغيرهم من أعداء هذا الدين ، وهؤلاء هم كثير، ولكنهم لم يفهموا ويدرسوا تاريخ هذا الدين الذي لم يثبت عنه أنه وقف يوماً في وجه الحضارة والمدنية .

وهكذا فإن الإسلام عبر مراحله التاريخية المتتالية يعد قاعدة لإنطلاق للمسلمين نحو بناء الحضارة والموجه الأساس لحركتهم الفكرية في مواجهة متغيرات الحياة والقيام بدور الخلافة على وجه الأرض ، وفي أطار السنن الإلهية التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الوجود كله[٢] .

ويعتقد بعضهم أن الإنسان العربي يفتقر إلى التربية المدنية والوطنية التي نعني بها معرفته لحقوقه وواجباته نحو وطنه ونحو العالم الخارجي وكيفية تعامله مع الآخرين ، أي أنه ولسبب بسيط لا يعرف ذاته أو هويته من جهة ، ويفتقر لمفهوم الصالح العام ، وتلك معضلته الأساس في عدم تكيفه واندماجه في علاقته مع الآخرين سواء في مجتمعه المحلي الوطني ، أم على مستوى العالم الخارجي[٣] .

ولكن الغرض في دعوته للمدنية من الأساليب والوسائل التي يحاول نسبتها إلى التطورأو المدنية ، أو ما شابه ذلك من المسميات والمصطلحات التي تحتمل لأكثر من معنى واحد .

وكان من المفاسد الجديدة التي جاء بها الإستعمار ، إعلان الفاحشة باسم ((التحرر)) و ((الانطلاق)) و ((المدنية)) والدعوة إلى التبرج والاختلاط وكان منها توسيع دائرة ((اللهو)) باسم ((الفن)) و ((الرقي)) و ((الحضارة)) ، فمرة المسرح ومرة سينما ومرة إذاعة ماجنة تقدم الغناء الفاحش ، والتأوهات المريضة والألفاظ العاتية[٤] .

" فالتعاليم المدنية تزحف من كل فج ، وتقتحم طريقها إلى النفوس من مشارب لا حصر لها ، وإذا لم نحسن البناء الداخلي للنفوس ورفع الإيمان على دعائمه الفكرية والعاطفية كلها ، فإن

---

(١)ينظر: شبهات حول الإسلام . محمد قطب (١٢٠) .

(٢)ينظر: المصدر نفسه (١٢١).

(٣)ينظر :ظواهر الفوضى والعنف وإشكالية التخلف في المجتمع الفلسطيني والمشرق العربي . علي نجم الدين (١/ ٦٠) القدس (٢٠٠٤م) .

(٤)ينظر: الجهاد الأفغاني ودلالته . محمد قطب (٥٢) ، مؤسسة المدينة ط ١ ، جدة (١٤١٠ هـ) .

Issn: 2071-6028

الأجيال لن تنجو من آثار هذا الزحف ، وربما شعرت بنقص في كيانها الروحي تسعى كي تستكمله من جهات أخرى" [١].

ونلاحظ باستمرار أن الشباب هم في الغالب الهدف من طرح الأفكار الغريبة والتي تحاول أن تخرجه عن انتمائه لدينه واعتزازه بهذا الانتماء إلى أن يكون مقلداً للغرب في كل أقواله وأفعاله ، بل حتى في زعزعة عقيدة الشباب المسلم من خلال الإساءة لرموز الدين تارة أو من خلال التشكيك بتلك العقيدة تارة أخرى .

أمّا الآن فإن المدنية الحديثة جعلت كفر جميع المذاهب مسموعاً مبصراً بواسطة الإذاعات والتلفزيون والصحف ، وجعلت القاءات جميع أجناس الشياطين قريبة من القلوب ، وبذلك زاد احتمال تأثر المؤمن من حيث لا يريد ولا يشعر بهذا المسموع والمنظور ، فضلاً عن ارتفاع حكم الإسلام عن الأرض الإسلامية التي يعيش فيها ، فوجب عليه شيئاً من المجاهدة والمراقبة لوقته أكثر مما كان يجب على السلف [٢] .

إن المدنية الحديثة المعاصرة طور ذكي وقوي من أطوار النشاط الإنساني على الأرض ، والتقدم الذي أحرزته في إدراك خصائص الأشياء والإلمام بها وبالقوانين الطبيعية جدير بالإعجاب ، وهذا الأمرلابد من ذكره من باب الإنصاف.

" ثم إن تطويع ذلك كله لخدمة الإنسان وتيسير مرافقه إرتفع بمستوى الحياة الخاصة والعامة في كثير من الأقطار وزاد البشر – في القارات الخمس – زيادة ملحوظة ، وقربت وسائل النقل الحديث ووسائل الإعلام الكثيرة المسافات المادية والفكرية بين الأمم ، فانطوت الأبعاد التي كانت تجعل الجماعات البشرية تعيش في جو من الإستيحاش والغربة ، لا يدري بعضها عن البعض الآخر إلا القليل وقد تكون الاختلافات في العقائد والمذاهب باقية في هذه الدنيا ، وربما ظل التعصب القديم لها يباعد بين طوائف كبيرة من الخلق" [٣] .

ومع ذلك فإن موقف الإسلام من الحضارة الغربية السائدة اليوم هو موقفه من كل حضارة سابقة ، يتقبل كل ما يستطيع أن تمنحه من خير، ويرفض ما فيها من شرور ، فهو لا يدعو – ولم يدع قط – إلى عزلة علمية أو مادية ، ولا يعادي الحضارات الأخرى معاداة شخصية أو

(١)الجانب العاطفي من الإسلام . محمد قطب (٤) ، دار نهضة مصر ، ط ١ ، القاهرة .

(٢)ينظر: الرقائق . محمد أحمد الراشد (٢٧) مؤسسة الرسالة ، بيروت (١٩٨١ م) .

(٣)معركة المصحف في العالم الإسلامي . محمد الغزالي (١٤٤) دار نهضة مصر ط ١ القاهرة (١٩٩٦م).

Issn: 2071-6028

عنصرية وذلك إيماناً منه بوحدة البشرية واتصال الوشائج بين البشر من جميع الأجناس وجميع الاتجاهات[١] .

اذن لا خوف من وقوف الإسلام في وجه الحضارة ما دامت نفعاً للبشرية ، أما إذا كانت الحضارة هي الخمر والميسر ، والدعارة الخلقية والإستعمار الدنيء وإستعباد البشر تحت مختلف العناوين ، فحينذاك يقف الإسلام حقاً في وجه هذه الحضارة المزعومة ، ويقيم نفسه حاجزاً بين الناس وبين التردي في مهاوي الهلاك[٢] .

وقد لبثت أوروبا ثلاثمائة سنة تقتبس من الإسلام اللغة والعلوم ، والحق أن المسلمين الأوائل لم يعرفوا الاستسلام للحوادث ، ولا شك في أن الصيغة العامة اللينة التي اتصف بها الإسلام هي التي جعلته يقبل ضروب المدنية ولا يتنافى معها [٣].

الخاتمة وأهم النتائج

لقد تطرقنا خلال بحثنا هذا إلى مسألة مهمة جداً وهي قضية الإعلام المعاصر إذ تبين لنا أهمية هذه القضية والدور الذي يؤديه الإعلام المعاصر في بث الأفكار الغربية على المجتمعات الإسلامية ، لاسيما وأننا عرضنا قضية مهمة وهي قضية العولمة ومالها من دور كبير في القضايا الإعلامية ، فضلاً عن عرضنا لنماذج من شبهات الغربيين ضد الإسلام وأنظمته ، وقد توصلنا إلى بعض النتائج والتي كان أبرزها :

_ إن قضية الغزو الفكري قضية مهمة لابدّ من الحذر منها باستمرار ، لاسيما ما يتعلق بمحاولات النيل من الدين الإسلامي ، أو من رموزه ، أو حتى من المسلمين.

_ كما أن أسباب الغزو الفكري كثيرة ، وغالباً ما تحاول الدول الغازية أن تنال من الأمم ومن تراثها ودينها ، وذلك باختلاق الأعذار والحجج الواهية .

–يعد الإعلام اليوم من أهم وسائل الغزو الفكري المعاصرة والمستعملة ضد المسلمين ، لا سيما وأن وسائل الإعلام الحديثة من فضائيات وصحف وإذاعات وغيرها يمتلكها أصحاب رؤوس الأموال من غير المسلمين ، بل ويوجهون ما فيها لتدمير الإسلام والمسلمين .

–مسألة إثارة الشبهات حول الإسلام عموماً وحول الفكر الإسلامي خصوصاً مسألة ليست جديدة ،بل تمتد جذورها إلى زمن النبي ﷺ ، فقد تعرضت الأمة إلى العديد من الضربات والطعنات من قبل المنافقين ، وهذا الأمر لا يخفى على مسلم.

---

(١)ينظر: شبهات حول الإسلام . محمد قطب (١٢١) .

(٢)ينظر: شبهات حول الإسلام . محمد قطب (١٢٢) .

(٣)ينظر: الفكر الإسلامي والثقافة العربية . انور الجندي (١٦٦) .

Issn: 2071-6028

لكن يبقى المطلوب من كل المسلمين اليوم الدفاع عن دينهم وعن عقيدتهم وعن مقدساتهم والوقوف صفاً واحداً ضد أعداء الإسلام ، ولايمكن أن يتحقق ذلك دون تظافر الجهود وتوفير الدعم المادي للمؤسسات الإعلامية الإسلامية والتي تعاني من نقص شديد في هذا الجانب ، حتى تتمكن من الوقوف بوجه تلك الشبهات والأباطيل التي يثيرها خصوم الإسلام وأعدائه، وهذا أفضل مانوصي أنفسنا وإياهم به .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

التوصيات

_ لا يكفينا فقط أن ندرك أهمية الإعلام المعاصر فحسب ، بل الواجب على المسلمين أن يبذلوا قصارى جهدهم للنهوض بواقع الإعلام الإسلامي ليواجه الأفكار الوافدة والدخيلة على المجتمع الإسلامي .

_ لابد من تفعيل مادة الإعلام الإسلامي في الكليات والمعاهد والجامعات الإسلامية من خلال إعطاءها أولوية في تلك الدراسات ، وكذلك اعتبار تلك المادة من المواد الأساسية لاسيما في أقسام الفكر والدعوة .

_ لابد من الاهتمام بوسائل الإعلام الإسلامية كالإذاعات والصحف الإسلامية ودعمها مادياً ومعنوياً ، فضلاً عن ضرورة تضافر الجهود لدعم الفضائيات الإسلامية والتي تقوم بدور متميز في رد الشبهات حول الإسلام .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الاتصال والتنمية . عبد اللطيف عبد الجليل ، سلسلة مطبوعات المملكة المغربية، الدار البيضاء (١٩٩٧ م).
٢. أخطار المنهج الغربي الوافد . أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني ط ١، بيروت (١٩٧٤ م) .
٣. أزمة الفهم ، أسبابها ، مظاهرها ، منافذ الخروج منها ، حمزة بن ضايع الفتحي ، جامعة الملك فهد ، السعودية .
٤. أزمة المثقفين تجاه الإسلام في العصر الحديث . محسن عبد الحميد ، مطبعة وزارة التربية ط٣ ، بغداد
٥. الإسلام . سعيد حوى ، دار السلام للطباعة ، ط ٤ ، القاهرة (٢٠٠١م).

Issn: 2071-6028

٦. الإعلام الاسلامي في التلفزيون . هاشم أحمد إنغيمش ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب بغداد (٢٠٠١ م) .
٧. التدفق الإعلامي من الناحية التقنية . أسامة أحمد غفور ، دار الرشيد ، بغداد (١٩٨٢ م)
٨. التربية الإسلامية وتحديات العصر . عبد الرحمن بن عبد الله الفاضل ، جامعة أم القرى السعودية ، (٢٠٠٧م).
٩. الثقافة الإسلامي. راشد شهوان وآخرون ، دارالمناهج ط١، عمّان ،٢٠٠١م .
١٠. ثلاثون طريقة لخدمة الدين . رضا أحمد صمدي ، تقديم : محمد حسين يعقوب ، مكتبة الفهيد جدة (١٤٢٠هـ) .
١١. الجانب العاطفي من الإسلام . محمد قطب ، دار نهضة مصر ، ط ١ ، القاهرة
١٢. الجهاد الأفغاني ودلالته. محمد قطب ، مؤسسة المدينة ط ١ ، جدة (١٤١٠ هـ) .
١٣. الحق المر . محمد الغزالي .
١٤. الدعوة الإسلامية في القرن الحالي . محمد الغزالي ، دارالشروق ط ١، القاهرة (٢٠٠٠ م).
١٥. الرقائق . محمد أحمد الراشد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت (١٩٨١ م) .
١٦. شبهات حول الإسلام . محمد قطب ، دار الشروق ، ط ٢١ ، القاهرة (١٩٩٢)
١٧. شبهات وأباطيل خصوم الإسلام والرد عليها . محمد متولي الشعراوي ، جمع واعداد: عبد القادر أحمد عطا ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة (ب . ت).
١٨. صوت الإسلام في العراق . محمد محمود الصواف ، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر ، بغداد (١٩٥٥م)
١٩. ضوابط الإعلام في الشريعة الإسلامية . عبد الهادي الزيدي ، الرياض ، (١٩٩٧ م) .
٢٠. ظواهر الفوضى والعنف وإشكالية التخلف في المجتمع الفلسطيني والمشرق العربي . علي نجم الدين
٢١. العلاقات العامة والمجتمع . إبراهيم إمام ، مكتبة الأنجلو ، ط١ ، القاهرة (ب . ت).
٢٢. عولمة الإعلام . تيارات شومسكي ، ترجمة : كامل عويد العامري ، منتدى الفكر العربي، العدد(١٤) عمان

Issn: 2071-6028

٢٣. العولمة والتبادل الإعلامي الدولي . جابر فلحوط ، محمد النجاري ، منشورات علاء الدين ط١ ، دمشق (١٩٩٩ م) .
٢٤. الغزو الفكري (أهدافه ووسائله) . عبد الصبور مرزوق ، مؤسسة مكة (ب. ت).
٢٥. الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام . عبد الستار فتح الله سعيد ، دار الوفاء ، ط ٥ ، مصر ،١٩٨٩م .
٢٦. فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم . علي محمد محمد الصلاّبي ، ط ١ دار البيارق، الأردن ، (٢٠٠٦م) .
٢٧. الفكر الإسلامي والثقافة العربية المعاصرة في مواجهة التحديات (الإستشراق والتبشير والغزو الثقافي) . أنور الجندي ، دار الإعتصام ، القاهرة ١٩٨٨م.
٢٨. قراءة في الإعلام المعاصر الإسلامي . محمد منير ، دار بيروت المحروسة ، بيروت (١٤١١هـ)
٢٩. قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي المعاصر . حسني محمد نصر وآخرون ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الولايات المتحدة (١٩٩٦ م) .
٣٠. مراجعات في الفكر والدعوة والحركة . عمر عبيد حسنة ، مكتبة الأمة ، (١٩٩٢ م) .
٣١. المسار . محمد أحمد الراشد ، دار المنطلق ، ط ٣ ، الامارات العربية ،(١٩٩١ م)
٣٢. مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام . أنور الجندي ، مجمع البحوث الإسلامية ، الأزهر ، مصر،١٩٧٣م .
٣٣. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، تحقيق : مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، دار الدعوة ، الإسكندرية ،(ب.ت).
٣٤. معركة المصحف في العالم الإسلامي . محمد الغزالي، دار نهضة مصر ، ط ١ القاهرة (١٩٩٦م).

الأنترنت

٣٥. الحضارة الاسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل ، علي بن نايف الشحود**www.ahlalhdeeth.com**
٣٦. المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية . علي الشحود، www.ahlalhadeeth.com

Issn: 2071-6028